المصدر: الكفاح العربى
التاريخ : ١٩ اكتوبر ٢٠٠٥

الكفاح العربي

من الأخير - بقلم: سامر الحسيني

في فمه رصاصة

لو مات غازي كنعان قبل عام €أي قبل استشهاد رفيق الحريري والخروج السوري€, لكان مجلس الوزراء الذي تجاهل نبأ انتحاره, عقد جلسة استثنائية في بحمرا حيث دفن, وقرر تنكيس الأعلام. ولكان معظم السياسيين الذين تخرّجوا من مدرسة عنجر نوّاباً ووزراء, أعلنوا الحداد الرسمي لمدة ثلاثة أيام, حزناً على فقدان معلّمهم الأول وملهمهم في اقتحام المراكز والمناصب العليا. ولكانت طريق بيروت دمشق الآن مزدحمة بأرتال من سيارات المسؤولين اللبنانيين, الزاحفين إلى سوريا للمشاركة في التشييع, قبل عروجهم على عنجر في طريق العودة.
إلا أن شيئاً من هذا لم يحدث.
لقد حمل غازي كنعان الملف اللبناني طوال عشرين عاماً, ولم يفارقه... إلى أن فارق الحياة. فلقب معالي الوزير لم يغيّر لقبه اللبناني «أبو يعرب», ومكتبه الجديد في وزارة الداخلية لم يمح عنوانه القديم في عنجر.
انتحر في أكثر اللحظات السورية صعوبة. في فترة لم تكف فيها الولايات المتحدة عن ممارسة الضغوط السياسية والعسكرية والاقتصادية. انتحر بعد أسابيع من استماع لجنة ميليس إليه, وقبل أيام من اكتمال التحقيق الدولي, وبعد ساعات من التشهير به في تسريبة إعلامية واضحة المعالم والأهداف, وبعد دقائق من سماع صوته على «صوت لبنان».
مات وفي فمه رصاصة, أطلقها لتصيب معظم اللبنانيين والسوريين بصدمة لا تزيلها التفسيرات الرسمية ولا الشكوك المبيّتة ضد سوريا.
قد يكون قراره صائباً أو خاطئاً, وإن كان في الحالتين يخالف الشخصية الحديدية التي عرف بها غازي كنعان في أشدّ المراحل اللبنانية وأكثرها خطورة. فهو انتحر ودفن معه ألغاز حقبة طويلة من تاريخ العلاقات اللبنانية السورية. وفي فمه الملآن بالأسرار والخفايا, وضع رصاصة صامتة, اخترقت كل العقول لما تحمله من مفاجآت نعجز عن تبريرها.
يوم 12 تشرين الأول السوري لا يشبه 14 شباط اللبناني, لا بلْ هو يوم آخر في روزنامة الأحداث الدراماتيكية التي رافقت اغتيال الرئيس رفيق الحريري. فخروج غازي كنعان قبل أربعة أعوام من الانسحاب السوري من لبنان, وتبديل ملفاته اللبنانية بأخرى تركية في الأمن السياسي, ومن ثم إحالته على التقاعد قبل انخراطه في العمل المدني في منصب لا تتعدى صلاحياته المسائل الداخلية, كل هذه التبدّلات لم تمنع أن تكون نهاية «أبو يعرب» لبنانية بامتياز.
أي لبناني لا يعرفه؟... وأي سياسي لم يتقرّب إليه أو يقترب منه؟
ومع هذا لم يشكُ من الذين تنكّروا له وأنكروه. ولم يغضب ولم يعتب على الذين لم يتعبوا أنفسهم بزيارة أو سؤال.
الآن رحل الرجل الصلب والصعب, من دون أن يودّع أحداً, ومن دون أن يودع سرّ الرحيل عند أحد, كما كل الأسرار التي يملكها.
لقد فقدت سوريا عقلاً أمنياً كبيراً, وفقد لبنان مفتاح أسرار مرحلتي الحرب والسلام.
من دونه نعرف ما حصل. ومن دونه لن نعرف أبداً لماذا حصل هذا... ولماذا لم يحصل ذلك.
لقد ترك لنا غازي كنعان الكثير من الأسئلة, وأخذ معه الكثير من الأجوبة.
وآخر الأسئلة التي تركها: لماذا هذه النهاية؟

سامر الحسيني

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية